أثر المجتمع الأندلسي على الشعر النسوي في الأندلس

أ. جهاد مصطفى السكري(*)

مقدمة:

يدور البحث حول ظاهرة الشعر النِّسْوي الأندلسي، وقد أردت بادئ الأمر أن أعنونه بـ(شاعرات أندعربيات) لتوثيق الصلة بين عالم الأندلس والمشرق العربي، فالشعر الأندلسي على الرغم من التجديدات الحاصلة فيه، وصبغه بالصبغة الأندلسية، إلا إنه يظل وليدًا للبيئة العربية، فالمجتمع الأندلسي يحمل بين طياته آثارًا عربية ذابت في هذا المجتمع الوليد، ولكني رأيت فيما بعد أن الصلة بين المشرق والأندلس لا تحتاج إلى توثيقات ومصطلحات أدبيـة للربط بينهما، مما جعلني أتجه، بعـدما أوغلت في البحث، إلى دراسة ظاهرة «شاعرات بيت المُلك في الأندلس»، وكيف ساعدت مكانتهن السياسية والأدبيـة في ظهور أشعارهن وتمـيزها عن نظيراتهن المشرقيات، غير غافلة الدور المشرقي في الشعر النِّسْوي كتمهيد.

لذا بدأت البحث بالحديث عن شاعرات المشرق العربي، وخصصت الحديث عن الجاهليات باعتبار أن الشعر الجاهلي أب للشعر العربي، ومن ثم اتخذت عَلَمًا شعريًا نِسْويًا جاهليًا متمثلًا في (تماضر بنت عمرو) أو «الخنساء»، كما هو معروف عنها؛ لأنني رأيت لها شبيهةً أندلسية هي (حفصة بنت الحـاج الركونية)، وودت لو أُفسِحَ لي المجال لإجراء مقارنة بين هاتين الشاعرتين؛ لتشابههما وتشابه ظروف حياتيهما، ومن ثَمَّ جُرأتهما الشعرية، على حسب البيئة والثقافة والقاموس الشعري الخاص بكل منهما.

(*) ماجستير الأدب الأندلسي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب - جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية.

ومن الصعوبات التي واجهتها في أثناء بحثي، قلة الأشعار الواردة في المصادر العربية وتناثرها في نفح الطيب (للمقري)، والذخيرة (لابن بسام الشنتريني)، والمغرب (لابن سعيد)، أما عن المراجع فكلها دراسات غير وافية، مع عدم إجراء مقارنات بين نموذجين أحدهما مشرقي والآخر أندلسي، لاستنباط الواقع الثقافي المحيط بكليهما، قبل تكشف الوضع الاجتماعي، فالوضع الاجتماعي يتجلى من خلال الشعر لا من خلال المعلومات الواردة في المصادر والمراجع المختلفة، فالشعر أصدق المصادر، لذا اعتبره العرب ديوانًا لهم، مؤرخًا لوقائعهم وأحداثهم.

وأرى أنه من الأهم في هذا المجال أن تقوم دراسة تعنى بجمع الشعر النِّسْوي الأندلسي - بشكل موثق - من أمهات المصادر الأندلسية، حتى يتوفر أمام دارس الأدب الأندلسي مرجعًا موثقًا يوفر عليه الجهد والعناء اللذين يعترضانه في أثناء بحثه في هذا الموضوع، والأمر ليس بالهين، لذا لن يتجهز بين يوم ليلة، فهو يحتاج جهدًا ومثابرة من جهة الباحثين، وأيضًا يجب أن تكون هناك تتمة لتلك الدراسة بدراسة النصوص الشعرية دراسة موضوعية، وتحليلها تحليلًا فنيًا؛ فالعنصر الأهم لدراسة أي أدب دراسته دراسة زمكانية من خلال دراسة العصر وظروف المجتمع.

إشكالية الدراسة:

أشرتُ مسبقًا إلى ندرة المادة الشعرية المتعلقة بالشعر النِّسْوي الأندلسي في المصادر التي أوردت تلك الأشعار، على الرغم من أهمية تلك الظاهرة ليس في مجال دراسة الأدب فحسب، بل لبلورة الصورة العامة لنظرة المجتمع الأندلسي للمرأة - بوجه عام - باعتبار أن الشاعرة الأندلسية ولو انتمت إلى معشر الأدباء، إلا إنها تظل امرأة، لذا فإن البحث سيحاول كشف المبهم عن هذه الظاهرة عن طريق الإجابة عن هذه الأسئلة:

- كيف تعامل المجتمع الأندلسي مع الجانب النِّسْوي؟

INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

- هل ما جاء من نتاج أدبي نِسْوي متحرر كان تمردًا على المجتمع الأندلسي أم مجاراةً له؟

- كيف أثرت مكانة شاعرات بيت المُلك (الأميرات من الشاعرات) في الشعر النِّسْوي الأندلسي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز مكانة المرأة الأندلسية ومدى تأثيرها في المجتمع الأندلسي، في ضوء دراسة شعرها، كما يحاول المقارنة بين نموذجين شعريين نِسْويين: هما الشاعرة الجاهلية الخنساء، وحفصة بنت الحاج الركونية، وذلك لتشابههما في الكثير من النواحي، وأخيرًا يحاول البحث إلقاء الضوء على نموذج غاية في الأهمية، وهو (شاعرة البلاط) ومدى تأثير مكانتها السياسية والاجتماعية على شعرها، وهل زادتها تلك المكانة جُرأة، بدلًا من أن تزيدها تحفظًا؟

الدراسات السابقة:

تكاد تصل الدراسات السابقة حول هذا الموضوع إلى حد الندرة، فجلها لا يتخطى حيز أبحاث النشر، فنادرًا ما تظهر دراسة وافية عن هذا الموضوع، مثل دراسة لـ(فوزية عبد الله العقيلي)، والتي تحمل عنوان (الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية)[1]. والباحثة وعلى الرغم من المجهود المبذول في هذه الدراسة، التي تتجاوز صفحاتها الستمائة، ومحاولاتها جمع أكبر قدر من أسماء الشاعرات الأندلسيات، إلا إنه قد فاتها دراسة أثر المجتمع الأندلسي، حيث إنها ركزت دراستها على الجمع، وجعلت تناولها للأشعار متداخلًا مع تناولها للسير الذاتية لهن، فلم يخرج عن كونه سردًا تاريخيًا، واستقاءً من المصادر القديمة.

(1) فوزية عبد الله العقيلي، الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2000.

وهناك دراسة للباحثة (سوسن رسمي عقلة بني ياسين) عنوانها: (الرجل في شعر شاعرات الأندلس)[1]. ومن عنوانها يتكشف موضوعها، والذي يدور حول الرجل في حياة الشاعرة الأندلسية، وكيف بلورت الشاعرة تلك العلاقة، مع إفرادها فصلًا كاملًا للحديث عن الرجل الأندلسي من حيث:

(أ) صفاته المعنوية.

- الشجاعة. - الكرم.

- الأخلاق الحميدة. - الشرف والنسب.

(ب) صفاته الجسدية.

وهناك أيضًا دراسة تحت عنوان (دور المرأة الغرناطية في الحياة الثقافية 635-897هـ / 1232-1492م)[2] للباحث (عصام داوود الشويلي) بالمشاركة مع سارة رمزي حسن، وركزت الدراسة على البحث عن المرأة الغرناطية، وليس هذا فحسب بل حددت حقبة تاريخية محددة.

ويوجد بحث نشر لـ(سعاد محمد أمين) يحمل عنوان (شعر المرأة الأندلسية)[3]. وفيه ناقشت الباحثة مواضيع الشعر النِّسْوي الأندلسي من مدح وغزل وهجاء.

وكما هو موضح فإن تلك الدراسات تفتقر إلى تناول تلك الظاهرة بشكل متكامل بدلًا من أن تتناوله بين ثناياها، كما لم تخل المراجع الأجنبية من تلك المشكلة مثل كتاب (تاريخ الفكر الأندلسي) لأنخل جنثالث بالنثيا، و(الشعر في عصر الطوائف) لهنري بيرس.

---

(1) سوسن رسمي عقلة بني ياسين، الرجل في شعر شاعرات الأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2012.

(2) عصام داود الشويلي، وسار رمزي حسن، دور المرأة الغرناطية في الحياة الثقافية، كلية التربية، جامعة البصرة، 2016.

(3) سعاد أمين محمد، شعر المرأة الأندلسية، رابطة الأدب الحديث، المجلد 87، أغسطس 2014.

المرأة في الأندلس:

ولد المجتمع الأندلسي من رحم امتزاج حضارتي الشرق والغرب، فطبيعة المجتمع الوليد أخرجت عقلية متفردة لا هي بالمشرقية ولا بالأوربية، ومن هذا المنظور خرجت المرأة الأندلسية منفردة عن نظيراتها العرب المشرقيات والأوربيات، فحظيت الأندلسيات بقدرٍ عالٍ من الحرية والمساواة مع الرجل، تطبيقًا إلى حد كبير للشريعة الإسلامية، وتأثرًا بالحياة الأوربية في آن، فلم يكنَّ حبيسات العادات والتقاليد بل حصلن على قدرٍ عالٍ من التحرر، والمثال الأبرز على ذلك (ولادة بنت المستكفي، وحفصة بنت الحاج الركونية).

وقد احترم المجتمع الأندلسي المرأة أيًّا كانت حالتها أو مكانتها؛ فقسم الجواري إلى فئتين فئة للخدمة وفئة للملذات، كما أن هناك من استخدمت عقلها كي تظفر بالملك عن طريق ولدها مثل (صبح البشكنسية) التي صارت أمًا للخليفة هشام المؤيد[1].

كما بلغت المرأة الأندلسية مكانة مميزة في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية والاقتصادية والعلمية والعملية في آن؛ فمن الناحية الاجتماعية تمتعت المرأة الأندلسية بمميزات جعلتها تتفوق على نظيراتها من المشرقيات، فقد دخل الرجال العرب إلى الأندلس دون نسائهم، مما أدَّى إلى التزاوج بينهم وبين الإسبانيات، ولما تمتعت به الإسبانيات من جمال حظين لديهم بمكانة عليا، فجاء الجيل الثاني من المولدين مزيجًا من العرب والأسبان، ربته ورعته إسبانية، بجانب تعاليم الدين الإسلامي التي زادت من مكانة تلك المرأة، فكما هو معروف فإن الإسلام كرم المرأة وأعطاها حقوقًا لم تكن موجودةً من ذي قبل.

ومن الناحية السياسية تتجلى صورة للجارية الإسبانية المتطلعة في ما هو أبعد

(1) جاسم ياسين الدرويش، أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ص176، نقلًا عن: نفح الطيب 335/3.

من تحررها، مثل (صبح البشكنسية) أم الخليفة هشام المؤيد، التي ساعدت المنصور ابن أبي عامر فيما وصل إليه، إلى أن وجدته يصرف الخليفة ويثنيه عن حقه في الخلافة انقلبت عليه واتصلت بزيري بن عطية المعروف بولائه لبني أمية، إلا إنه هُزم أمام جيوش المنصور، «وشرد إلى تاهرت فأبعد المفر» على حد وصف المقري[1].

أما من الناحية الاقتصادية فكان للمرأة الأندلسية أعمالها وممتلكاتها وعقاراتها الخاصة، وكان لها مطلق الحرية في البيع والشراء وتوثيق العقود بنفسها، وعلميا لم تحرم المرأة الأندلسية من حظها في التعليم، وذلك لحث الدين الإسلامي على العلم والمطالعة؛ فنبغت العالمات والفلكيات والطبيبات، ومن أشهرهن الطبيبة أم عمر أخت الحفيد ابن زهر طبيب الحاجب المنصور، وابنتها فاطمة[2].

كما تجلت مكانة المرأة الأندلسية من خلال فن الموشحات، حيث إن الشعراء الأندلسيين جعلوا خرجة الموشحات تقال على لسان امرأة، وهذا لأهمية كلٍّ من:

- الخرجة في بناء الموشحة.
- المرأة في بناء المجتمع الأندلسي.

فجاءت الموشحة انعكاسًا لصورة المرأة في المجتمع الأندلسي.

شاعرات المشرق:

ومن الجور بخس حق المشرقيات في مجال الأدب، فلم تخل البيئة الجاهلية من شاعرات مجيدات تذخر بأشعارهن المصادر العربية إلى يومنا هذا من أمثال الخنساء (تماضر بنت عمرو)، ولكن ولاختلاف البيئتين العربية والأندلسية، اختلفت طبيعة أشعارهن، فقد غلبت على الشاعرات العربيات في الجاهلية أشعار (الرثاء

(1) المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الصادر، بيروت (د.ت)، 398/1.
(2) محمد بشير العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، دار غيداء، الأردن، 2012، ص62.

والتأنيب والحماسة والحث)، وذلك لطبيعة البيئة الجاهلية القبلية، المرتبطة بالحروب والنزاعات القبلية، ومع وجود قليل من أشعار النسيب والغزل إلا إنها لم تخل من الرثاء كما في شعر (بثينة) الذي قالته في جميل بعد موته، حيث قالت:

وإنَّ سُــلوّي عَــن جَميــل لَــساعَة من الدَّهرِ لا جَاءت ولا حان حِينُهـا
سَـواءٌ علينـا يـا جَميـل بـن معمـرٍ إذا مِــتُّ بأسَــأ الحَيــاةِ ولِينُهــا[1]

- **الخنساء**:

أرىٰ أن الخنساء حملت لواء الشعر النِّسْوي في العصر الجاهلي، مما كان محفزًا لجمع أشعارها في ديوان خاص بواسطة (حمدو طماس)[2]، ثم إنها تمتعت بقوة شخصية وإرادة نادرة في وقتها، جعلتها تفرض علىٰ والدها ألا يقطع برأي إلا بعد استشارتها[3]، وهذه الخصيصة لم تمنح - في الجاهلية - لأية فتاة إلا لمن يتميزن برجاحة العقل.

ولا يخفىٰ علىٰ الكثير الخنساء (شاعرة وأخت وأم)، وذلك لرثائها أخيها الأول معاوية، ومن ثم تحريضها علىٰ قتل قاتله؛ فقالت:

لا تَقْــتُلن بــني فــزَارَةَ إنَّمــا قَــتْلىٰ فَــزارَةٍ والــكِلابُ سَــواءُ
ودَعِ الثَّعالــبَ غَثَّهَــا وسَــمينَها مـا في الثَّعالـبِ مِـنْ أخِيـك وَفَـاءُ
وعَلَيْــك مــرَّة إن قَتَلْــت وَإنَّمــا قَــتْلاك مُــرَّة إنْ قَتَلْــتَ شِــفَاءُ[4]

وبعد مقتل أخيها صخرٍ، فاضت قريحتها بما يثير حرقة القلوب ولوعة النفوس، ببديع شعر يخلِّد اسمها بين أعلام الشعر الجاهلي، فأكثرت في ندبه وبكائه؛ فقالت:

---

(1) جميل بن معمر، ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص11.
(2) الخنساء، الديوان، تحقيق: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت 2004.
(3) الخنساء، ص9.
(4) بنو مرة من قتلوا أخاها معاوية.

أعينـايَّ هـلا تَبْكَيـانِ عَلىٰ صَـخْرٍ بـدمعٍ حثيـثٍ لا بَكـيء ولا نـذرِ
وتَـسْتَفرِغان الدَّمـعَ أو تذريانـه علىٰ ذي النَّدىٰ والجُودِ والسَّيدِ الغَمْرِ[1]

وقالت أيضًا:

وإنَّ صـخرًا لمقـدامٌ إذا رَكِبُـوا وإن صَـخْرًا إذا جـاعوا لعقَّـارُ
وإنَّ صـخرًا لوالينـا وسـيدنا وإن صـخرًا إذا نَـشْتُوا لنحـارُ[2]

- **كرمة بنت ضلع**:

هناك شاعرة جاهلية عاش شعرها، وأصبحت الحروب تزكىٰ به مع الجهل بقائلته، وأرىٰ أنه من الواجب ذكر اسمها، خاصة أني وجدت انتشارًا لشعرها مع الجهل بقائلته، وهي (كرمة بنت ضلع)[3] أم مالك بن زيد فارس بني بكر في حرب البسوس، وقالت هذه الأبيات للمحاربين لإشعال الحماسة في نفوسهم:

نَحْـنُ بَنَـاتُ طَـارِق نَمْـشي علَىٰ النَّمَـارِقِ
مَـشْي القطِـي البَـارِق والمِـسكُ في المَفَـارِقِ
والدُّرُّ في المَخَـانِق إن تُقْبِلُـوا نُعَـانِقِ
أو تُـدْبِروا نُفَـارِق فِـراق غَـيْر وَامِـقِ
عُـرْس المَـولىٰ طَـالِق والعَـارُ فيـه لاحِـقِ[4]

وإلىٰ هنا ينتهي الحديث عن الشاعرات المشرقيات، غير غافلين جهدهن الأدبي،

---

(1) الخنساء، ص48.
(2) المصدر نفسه، ص46.
(3) بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت، 1934، ص42.
(4) المرجع نفسه.

والذي وبالنظر إلى بيئتهن يبدو جيدًا، فكما سبق وقلت إن الشعر مرآة لعصره؛ فعلى الرغم من تميز الشعر النِّسْوي الجاهلي، عانت المرأة الجاهلية من الإهانة والتحقير، والذي تمثل في عادة وأد البنات، والتي نوه عنها القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل، آية 58-59]، أيضًا قوله في سورة التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير، آية 8-9].

الشعر النسوي في الأندلس نتاج مجتمعه:

ارتبطت المكانة التي وصلت إليها الشاعرات في الأندلس بمكانة المرأة الأندلسية، وكلاهما نتاج المجتمع الأندلسي ذي الطابع التحرري، وهذا التحرر الفكري والمجتمعي لم يكن وليد الساعة، بل نتج عن سلسلة من الأيديولوجيات المتعاقبة على مجتمع الأندلس منتجة شخصية الأندلسي، والذي لم يكن لا مسلمًا يحمل جذورًا مشرقيةً ولا إسبانيًا، بل كان نتاجًا لشخصيات عدة تماهت كلها منتجة الشخصية الأندلسية فهو (أيبيري، يوناني، روماني، قرطاجني، جرماني، قوطي، عربي، بربري)، انصهرت جميعها مكونة شخصيةً أندلسيةً منفردةً في تكوينها الثقافي والفكري والاجتماعي حتى الشكلي - نظرًا للتمازج بين العرب والأسبان -، والذي تَوَلّد عنه جيل من المولدين منتميٌ إلى تلك الأصول جميعًا.

وبما أن المرأة جزء من هذا الكيان، فقد حازت مكانة مرموقة، تتجلى في كثرة أعلام النساء اللائي ترجم لهن في كتب التراجم، حيث كن يمارسن معظم المهن، إلى حد مشاركتهن في أمور السياسة، وعلى رأسهن ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن (المستكفي) صاحبة أشهر صالون أدبي على مر التاريخ، كما تبزغ أيضًا في مجال الطب والأدب (أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي) وعنها يقول لسان الدين بن الخطيب: «من أوائل النساء الأندلسيات اللواتي كان لهن فضل السبق في ولوج ميدان الشعر العربي،

فبالإضـافة إلى كونها كانت تجيد قراءة القرآن ومسائل الطب، فإنها كانت تنظم الشعر»[1].

شاعرات الأندلس:

سيتناول البحث مجموعة من أشهر شاعرات الأندلس في مختلف عصورها، وللتيسير على الباحث في مجال الأدب الأندلسي، سأذكر أسماء الشاعرات الأندلسيات التي استقيتها من خلال البحث الدءوب في مصادر الأدب الأندلسي:

1- اعتماد الرميكية.
2- بثينة بنت المعتمد (ابنة اعتماد سابقة الذكر).
3- حفصة بنت الحاج.
4- حمدة بنت المؤدب (خنساء المغرب).
5- حمدة بنت زياد.
6- زينب بنت إسحاق النصرانية.
7- عائشة القرطبية.
8- قسمونة بنت إسماعيل.
9- لبنى القرطبية.
10- مريم بنت أبي يعقوب الشلبي.
11- مهجة بنت التياني.
12- أم الهناء بنت القاضي أبي محمد بن عبد الحق (المقري).
13- نزهون القلاعية.
14- ولادة بنت المستكفي.

---

(1) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، ط2، الخانجي، القاهرة، 1973، ص430.

15- أم العلاء بنت يوسف الحجارية البربرية.

16- زينب بنت يوسف بن تاشفين.

17- نويرة الرومية.

18- الغسانية.

19- أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي.

20- أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح.

وسنورد هنا ما توصلت إليه عن بعض هؤلاء الشاعرات ممن تحدثت عنهن المصادر:

- **حفصة بنت حمدون الحجارية**:

من وادي الحجارة، وهي من شاعرات المائة الرابعة، أعجبت بشخص كنيته (أبو جميل)، ومن شعرها كما هو مثبت في (المُغْرِب):

لي حبيبٌ لا يَنْثَنِي لِعتابِ إذا ما تَرَكْتُه زَادَ تِيهًا

قال لي هَلْ رَأيتِ لي شَبيهٌ قلت أيضًا وهل ترىٰ من شَبيها[1]

وعلىٰ عكس ما كان في المشرق، حيث تباهىٰ الشعراء المشرقيون بكثرة محبوباتهم مثل (عمر بن أبي ربيعة) الذي قال متباهيًا بتهافت النساء عليه:

قَالت الكُبْرىٰ أَتَعْرِفَنَّ الفَتَىٰ؟ قالت الوُسْطىٰ: نَعَم هَذا عُمَرُ

قالت الصُّغرىٰ وقَد تَيَّمْتُها قَد عَرِفناه وَهَل يَخْفَىٰ القَمَرُ![2]

تتباهىٰ (حفصة بنت حمدون) بكثرة محبيها، أو كما قالت عليهم (عبيدها) فمن الجلي نرجسيتها التي دعتها إلىٰ مثل هذه الأشعار، والتي تقول فيها:

---

(1) ابن سعيد، المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1955، 38/2.

(2) عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، وعد العزيز شرف، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1995، ص264.

يا ربِّ إني لي عبيـــدي عـــــلىٰ جَمْـرِ الغَـضَىٰ مـا فـيهم نجيـبْ
إمَّـــا جَهـــولٌ أبْلـــهٌ مُتعـــبٌ أو فَطِـنٌ مِـن كيْـده لا أخيـبْ[1]

ونرجسيتها تلك تتجلىٰ في كثرة صراعها مع من يحبونها، فكأنه نزال تريد أن تثبت فيه ذاتها وأنوثتها؛ فناظرت حبيبها محاولة إثبات سيطرتها عليه بقولها:

لي حبيـــبٌ لا ينثـــني لعتـــاب إذا مـــا تركتـــه زاد تيهًـــا

فالعلاقة بينهما تكاد تكون سجالًا أكثر منها حبًا؛ فبدلًا من أن يتغزل أحدهما في الآخر أو حتىٰ يثني عليه، كما فعل (ابن زيدون) في تغزله في (ولادة بنت المستكفي) حينما قال:

ربيـــب ملـــكٍ كَـــأن الله أَنـــشأه مِسكًا وقـدَّر إنْـشاء الـوَرَىٰ طِينًـا[2]

في حين ساجلت (حمدة) محبوبها قائلة:

قَـــال لي هَـــل رَأيـــتَ لي شَـــبيها قلت أيْضًا وهَلْ تَـرَىٰ مِـن شَـبيها[3]

وكأن الشاعرة تقوي موقفها الشعري بتلك النرجسية المصطنعة، كما تؤكد نرجستيها تلك في قولها:

يـــــا ربِّ إنِّي لِي عَبِيـــــدي عَلَىٰ جّمْـرِ الغَـضَىٰ مَـا فِـيهم نَجيـبْ
إِمَّـــا جَهُـــولٌ أبْلـــهٌ مِتْعِـــبٌ أو فَطِـنٌ مِـن كَيْـده لا أخيـبْ[4]

(1) ابن سعيد، 38/2.
(2) ابن زيدون، الديوان، ص300.
(3) زينب بن علي الفواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ط1، المطابع الأميرية، القاهرة، 1985، 290/1.
(4) ابن سعيد، 38/2.

فهي تتمنع على من يريدونها رغم كثرتهم، فلا تجد (فيهم من نجيب)، لذا فإنها ترقى عنهم جميعًا.

- **حمدة بنت زياد المؤدب**:

لقبت بـ«خنساء المغرب»، وهي من وادي آش، عاشت في القرن الخامس الهجري، وذكر ابن سعيد لها شعرًا في جوارٍ أحبتهن، خرجن معها في نزهة إلى وادي مدينة وادي آش، وخلطت في شعرها بين وصف جمال المكان، ووصف صحبتهن؛ فتحول مدحها لهذه الصحبة إلى مغازلة، وكأن من قال الأبيات رجلًا، فالجُرأة المتسمة بها الشاعرات الأندلسيات جعلتهن يخرجن من عباءة الأنوثة والعيب، فعلى الرغم من عدم وجود الدافع الجنسي، أسهمت قريحتها في قول شعرٍ غزليٍ ضاهى شعر الشعراء من الرجال؛ فقالت:

أَبَـــاحَ الدَّمْـــعُ أَسْراري بِـــوادي ... له في الحُـــسْنِ أثَـــارٌ بَـــوَادي

فَمِـــن نَهـــرٍ يَطـــوف بِكُـــل رِوضٍ ... ومـــن رَوْضٍ يَطُـــوف بِكُـــلِّ وادِ

ومـــن بـــين الظِّبـــاء مَهـــاةُ أُنْـــسٍ ... لهـــا لُـــبِّي وقَـــد ســـبت فـــؤادي

لهـــا لَحْـــظٌ تُرَقِّـــده لأمـــرٍ ... وذاك الأمـــرُ يَمْنَعُـــني رُقـــادي

إذا سَـــدلت ذَوائِبهـــا عليهـــا ... رَأَيْـــت البَـــدرَ في أُفُـــقِ الدَّآدِ

كَـأَنَّ الـصُّبحَ قَـدْ مَـات له شَـقِيقٌ ... فَمـن حُـزْنٍ تَـسَرْبَلَ بالـسَّوادِ[1]

ولقد أصاب من لقبها بـ«خنساء المغرب»؛ فكلتاهما تتمتعان بالجُرأة والشجاعة الأدبية، ففي حين تمتعت الخنساء بمكانة جعلتها تباري الرجال، وتظهر رأيها وكلمتها في محيطها، تمتعت حفصة بتلك الجُرأة التي أوصلتها إلى التغزل بجواريها وكأنها رجلًا لا امرأةً.

(1) المصدر السابق، ص146.

- **حفصة بنت الحاج الركونية**[1]:

حفصة الركونية شاعرة عاشت في المائة الخامسة في عهد عثمان بن عبد المؤمن الموحدي ملك غرناطة، وكان حبها لأبي جعفر بن سعيد النقطة الأهم في حياتها، مما جعل قصة حبهما تتشابه مع قصة حب ولادة بنت المستكفي والوزير أبي الوليد بن زيدون، بل زادت عليها مأساوية؛ لانتهائها بمقتل الوزير أبي جعفر بن سعيد، لغبطة الحاكم ابن عبد المؤمن له لتفضيلها إياه[2].

وها هي تكتب لكليهما استئذانًا منها للدخول عليهما في مناسبتين مختلفتين، بأسلوب يوضح حقيقة شعورها تجاه اثنين أحدهما تبادله مشاعر الحب، بل وتذهب بنفسها إليه مبدلة الأدوار، فمن المتعارف عليه أن الرجل هو من يذهب إلى المرأة؛ فتقول مستأذنة على أبي جعفر في بيته:

زَائِـرٌ قَـدْ أَتَى بِجِيـدِ الغَـزَالِ ... مُطْلِـعٌ تَحْـتَ جُنْحِـه للهِـلالِ

بِلِحاظٍ مِـن سِحْر بَابِـلٍ صيغَت ... ورُضَـابٍ يَفُـوقُ بِنْـت الدَّوالِ

يَفْضَحُ الوَرْدُ مـا حَـوَى مِنـه خَـدٌّ ... وكَـذَا الثَّغْـر فَاضِـحٌ لـلآلي

مـا تَـرَى في دُخـوله بعْـد إِذْنٍ ... أو تَـراه لعـارِضٍ في انفـصالِ[3]

كما تغزلت في نفسها على حسب ما ذكره المقري في النفح:

ثَنَـائي على تِلْـك الثَنَايـا لأنـني ... أَقُـول على عِلْـمٍ وأَنْطِـقُ عَلَى خُـبرِ

وَأُنْـصِفُها لا أَكْـذِبُ اللهَ أَنَـني ... رَشَفْتُ بِهَا رِيقًـا أَرَقُّ مِـنَ الخَمْـرِ[4]

---

(1) سنورد ذكرها أكثر تفصيلًا في الجزء المخصص لدراسة (شاعرات بيت الملك الأندلسي).

(2) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 138/2.

(3) المصدر نفسه، 139/2.

(4) المقري، نفح الطيب، 172/4.

وقد بدأت الأبيات مادحة نفسها كشاعرة، ولكنها لم تلبث إلا وتغزلت في مفاتنها بدلا من أن تتوغل في مدح قريحتها الشعرية، وذلك من خلال ذكرها لثناياها وحسنها وريقها العذب الأرق من الخمر، ولم تخل الأبيات من تحرر يبدو من خلال طلبها الوصال والتلاقي، فها هي في هذه الأبيات تصف أجزاءً من جسدها، فمن من يقرأ مطلع الأبيات دون أن يعرف قائلها، يعتقد أنها لرجل، حيث إن المتعارف عليه في الشعر العربي، أن الرجل المحب هو من يتغزل في محبوبته، لكننا نجد سمة شعرية تطورت في الشعر النِّسْوي الأندلسي ألا وهي (التغزل بالرجال).

في حين يطغى الخطاب الرسمي على قصيدتها (لابن عبد المؤمن)، رغم تصريح الأخير بحبه بها، معلنة سلطته السياسية نافية أية سلطة له على روحها، وهذا وإن دلّ فإنما يدل على استقلالها وقوة شخصيتها وعنادها الذي جعلها لا تُرضخ قلبها لسلطة رجل لمجرد كونه حاكمًا، وتقول له محافظة على مكانته كملك غرناطة:

يـــا ذَا العُـــلا وابْـــن الخَليـــ ـــــفةِ والإمـــــامِ المُرْتَـــضَى

يَهْنِيـــكَ عِيـــد قَـــدْ جَـــرَى مِنْـــه بِمَـــا تَهْـــوَى القَـــضَا

وافَـــــاك مَـــــن تَهْـــــواه في طَـــوْعِ الإجَابَـــة والرِّضَـــا[1]

والشاعرة تبدو ذكية؛ فلقد اتصفت أبياتها بحسن التخلص إلى الهدف، وذلك من خلال حسن التنقل بين الأبيات، لخدمة غرضها الأساسي، فبعدما بدأت الأبيات بمدح المخاطب بصفته الرسمية، وجعلت البيت الثاني تكملة للبيت الأول، فهو الملك الذي تعمل الآليات الكونية على إرضائه، وبعدما أكدت في البيتين الأولين على علو مكانة الممدوح، ومن ثم حله وعقده، ختمت أبياتها بأنها جاءت مطيعة، لا لسلطان قلبها، وإنما لسلطان المدينة.

(1) ابن سعيد، المصدر السابق، 139/2.

- **حفصة وتغزلها في أبي جعفر:**

قالت **حفصة** واصفة محاكاة الطبيعة لشعورها عند اللقاء، وكأن الجمال الخارجي للطبيعة ما هو إلا انعكاس للجمال الداخلي الذي يحدثه ذاك اللقاء بداخلها، فهو يُفَتِّح الأزهار وينشي الحمامات المختبئة على الأغصان:

سَــلامٌ يُفــتَّحُ عَــن زَهْــرِهِ الــ ـــكِمَامُ وَيُنْطِــقُ وُرْقَ الغُــصَونِ
عَلَى نَــازِحٍ قَــدْ ثَــوَى فِي الحَــشَا وَإن كَانَ تُحْــرَمُ مِنْــه الجُفُــونِ
فَــلا تَحْــسَبوا البُعْــدَ يُنْــسِيكُم فَــذَلك والله مــالا يكــونُ[1]

كما كتبت ذات مرة تطلب منه الزيارة:

أَزُورك أَم تَــزُورُ فــإن قَلْــبِي إلى مــا مِلْــتُم أَبَــدًا يَمِيــلُ
وَقَــدْ أَمَّنْــتَ أن تَظْــمَى وتَــضْحى إذا وَافى إليَّ بِــك القَبــولُ
فَثَغــري مــوردٌ زلاُلُ وَفْــرعُ ذوائــبي ظــلٌّ ظَليــلُ
فعجِّــل في الجَــواب فمــا جَميــلٌ أَنَاتُــك عــن بُثَيْنَــة يــا جَميــلُ[2]

والأبيات لا تخلو من مواضع عدة للوصف الصريح، أو ما هو متعارف عليه في الأدب بالغزل الصريح مثل (ثغري مورد، فرع ذوائبي ظل طليل) وكما في الأبيات السابقة (جيد الغزال، لحاظ من سحر بابل، رضا يفوق بنات الدوالي، ثغر فاح للآلي)، وهذا يحيلنا إلى تجديد شعري نسوي أندلسي، وهو التغزل الذاتي، والذي يبدو في تغزل حفصة الركونية بجمالها وأنوثتها.

ولم تتغزل حفصة في نفسها فحسب، فنجدها تتغزل في أبي جعفر، في صورة شعرية

(1) ابن سعيد، المصدر السابق، 166/2.
(2) المصدر نفسه.

مقلوبة تتكرر في شعر (حفصة) ليجد القارئ نفسه واقفًا للحظات أمام المتغزل به، معتقدًا إياه امرأةً، لولا معرفته بأن القائل (امرأة)، فعلى سبيل المثال تقول في موضع آخر:

ثَنَـائي عَلى تِلْـك الثَّنايـا لأنـني أقُـول عَلى عِلْـمٍ وأَنْطِـقُ عَـن خَـبَرِ
وأُنْـصِفُهَا لا أُكْـذِبُ الله إنـني رَشَفْتُ بِها ريقًـا أَرَقُّ مـن الخَمْـرِ[1]

فذكرها (الثنايا) و(الريق الأرق من الخمر) تلك المفاتن الأنثوية، والتي حولتها (حفصة الركونية) بجرأتها إلى مفاتن ذكورية، ينم على ما وصلت إليه الشاعرات الأندلسيات والمرأة الأندلسية بشكل أعم من تحرر وجراءة.

كما تغزلت فيه في موضع آخر بقولها:

ولو لَم تَكُـن نَجْمـا لَمَـا كان نـاظري وقـد غِبْـتَ عَنْـه مظلمًـا بعـد نُـورِه
سـلامٌ على تلـك المَواضِـعِ مِـن شـجٍ تَنـاءت بِنُعْمـاه وطِيـب سُرورِه[2]

ففي قولها (تلك المحاسن) دلالة أنثوية، فالحسن والجمال من الصفات الأنثوية، ولا يمتدح بهما رجل، ولم تجار حفصة الجانب الذكوري في الألفاظ والأفكار فحسب، بل تناصت مع (ابن زيدون) في قوله:

لا تَحْـسَبوا نَـأْيَكُم عَنَّـا يُغَيِّرُنَـا إن طَالَ مَـا غَـيَّرَ النَّـأيُ المُحِبينـا[3]

بقولها:

فـلا تَحْـسَبوا البُعْـدَ ينْـسِيكُم فَـذَلِك والله مَـا لا يَكُـونُ[4]

---

(1) نفح الطيب، المقري، 173/4.
(2) ابن سعيد، 139/2.
(3) ابن زيدون، ص300.
(4) ابن سعيد، 139/2.

INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
اتحاد الجامعات العربية

فالبيتان بينهما تداخل نصي في الأفكار والألفاظ، فكأن هناك علاقةً تبادلية، فحفصة تحل محل ابن زيدون (المتكلم)، وأبو جعفر يحل محل ولادة (المخاطب).

- **أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي**:

هي ابنة القاضي أبي جعفر الطنجالي الهاشمي أحد أشياخ لسان الدين بن الخطيب، والذي كان له الإسهام الأكبر في تنشئتها المحافظة، لما اشتهر عنه «كثرة حياء وسمة صلاح، وإفراط وقار وحشمة»[1]، وعن علاقته بابنته أم الحسن يقول لسان الدين في الإحاطة: «نشأت في حجر أبيها، لا يدخر عنها تدريجًا ولا سهمًا، حتىٰ نهض إدراكها، وظهر في المعرفة حراكها»[2]، أما عن شعرها فيقول عنها إنها: «ثالثة حمدة وولادة، وفاضلة الأدب والمجادة، تقلدت المحاسن من قبل ولادة، وأولدت أبكار الأفكار قبل سن الولادة»[3].

ومما قالت شعرًا ناضحًا فيه قيمها العلمية، فقد وهبت حياتها للعلم والطب، لذا حوىٰ شعرها أيضًا خلاصة فكرها؛ فقالت:

الخَـطُّ لَـيْسَ لَه فِي العِلْـم فَائـدةٌ وإنَّمـا هـو تَـزيينٌ بِقِرطَـاسِ
والدَّرسُ سُـؤلِي لا أَبْـغِي بِـه بَـدَلًا بِقَدْرِ عِلْمِ الفَتَىٰ يَسْمو علَىٰ النَّـاسِ[4]

ولها في المجون:

إنَّ فَـرْطَ الدَّرْسِ يـا أُمِّي سُـحْقٌ وهَـذَا هـو المَـشْهور فِي النَّـاسِ

---

(1) نفح الطيب، المقري، 389/5.
(2) لسان الدين بن الخطيب، لإحاطة في أخبار غرناطة، ص430.
(3) المصدر نفسه.
(4) المصدر نفسه، ص431.

وَخُــذ مِــن الدَّرسِ شَــيئًا تافهــا خَطـا وبِـالفَهمِ يَحْـيىٰ كُلُّ النَّـاسِ[1]

ومن شعرها في المدح:

إن قِيــلَ مِــن النَّــاسِ رَبٌّ فَــضيلَةٍ حــازَ العُــلا والمَجْـدَ مِنْـه أصـيلُ

فَــأَقُول رِضــوان وحيــد زمانــه إن الزَّمَــانَ بِمِثْلــه لَبَخِيــلُ[2]

وعلىٰ الرغم من توقد قريحة أم الحسن، لدرجة جعلت (ابن الخطيب) يضعها في مكانة ولادة، إلا أنها لم تحذ حذو قريناتها من الشاعرات في الجُرأة الشعرية، فكان لتنشئتها دور في ذلك، مما يعضض دور التنشئة ومدىٰ إسهامها في توجه مسار الشاعر.

شاعرات بيت الملك:

دخل الساسة الأندلسيون - من ملوك وأمراء ووزراء - غمار الأدب، وظهرت أميرات يبدعن في قول الشعر من أمثال: (ولادة بنت المستكفي، وأم الكرام بنت المعتصم بن صمادح، وبثينة بنت المعتمد)، وكأنما انتقلت سطوتهن وسلطتهن في الحياة إلىٰ شعرهن.

- **أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح:**

هي ابنة المعتصم بن صمادح صاحب المرية، عني بتأديبها لما رآه من ذكاء؛ مما جعلها تقول الشعر والموشحات، ومن أشعارها شعر قالته في فتىٰ عشقته، غير آبهة إلىٰ مكانتها، ومكانة والدها الملك؛ فقالت:

يَــا مَعْــشَرَ النَّــاسِ ألا فــاعجبوا ممــا جَنَتْــه لَوْعَــةُ الحُــبِّ

لَــوْلاه لَــم يَغْــزِلْ بِبَــدْرِ الدُّجَىٰ مِــن أُفْقِــهِ العُلــوي للــتُّرَبِ

(1) لسان بن الخطيب، ص431.

(2) المصدر نفسه.

حَــسْبِي مَــن أهــواه لــو أنَّــه فَــــارقَني تَابَعَــــه قَلْــــبِي[1]

كما قالت أيضًا:

ألا لَيْـتَ شِـعْري هَـلْ سَـبيل لِخَلْـوَةٍ يُــنَزَّهُ عَنْهــا سَــمْع كلِّ مُراقــبِ

ويـا عجبًـا أشْـتَاقُ خُلْـوَة مَـنْ عَـدَا وَمَثْوَاه مـا بَـيْنَ الحَـشَا والتَّرَائِـبِ[2]

وما كان لهذا الشعر المتحرر لأميرة من بيت الملك، إلا أن حمل المعتصم والدها على قتل حبيبها[3].

- **ولادة بنت المستكفي**:

لم تنل ولادة بنت المستكفي حظها من الشهرة في كتب التاريخ لا من حيث جاهها ونسبها الأموي ولا من حيث شعرها، فكان العامل الأبرز في حياتها هو حبها لابن زيدون الوزير الشاعر، فكما أزكى اسم ابن زيدون اسمها في كتب الأخبار وروايات التاريخ، قلّص من حجمها كشاعرة حاذقة لها من الشعر ما تباري به قريناتها من شاعرات المشرق والمغرب والأندلس.

وأرى أنه من الجور على كيان ولادة اقتصار خبرها على أخبار ابن زيدون، فكأن حبها له نتاج حياتها التي قاربت على المائة عام[4]. ففي مصدر كالمغرب في حلى المغرب يأتي ذكر ولادة مقترنًا بذكر ابن زيدون، وذلك من خلال أشعار قالها ابن زيدون في ولادة، فجاء ما نصه ابن سعيد: «فقال يتغزل في ولادة بنت المستكفي، التي كان يهواها، وكانت شاعرة»[5].

---

(1) نفح الطيب، المقري، 4/ 170.

(2) ابن سعيد، 203/2.

(3) المصدر نفسه.

(4) ابن سعيد، المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (د.ط)، دار المعاف، القاهرة، 1953، 65/1.

(5) المصدر نفسه، ص66.

يـا نَازِحًـا، وَضَـمِيرَ القَلْـبِ يَهْـوَاه أَنْـسَتْكَ دُنْيَـاك عَبْـدًا أَنْـتَ دُنْيَـاه
أَلْهَتْـكَ عَنْـه فُكَاهَـاتٍ تَـلَذُّ بِهـا فَلَـيْسَ يَجْـرِي بِبَـالٍ مِنْـكَ ذِكْـرَاه
عَـلَّ الليـالي تُبْقـين إلىٰ أَمْـرٍ الله يَعْلَـم وَالأَيَّـام معنـاه[1]

وأشعار ابن زيدون في ولادة كثيرة جدًا، لسنا بصددها في هذا البحث، وفي حين شغلت ولادة لب ابن زيدون وشغفته حبًّا، شغلت لب شاعرة من بنات جنسها ولكن حقدًا وكرها فباتت تهجوها، لينم هذا الهجاء علىٰ مكانة ولادة - وقتئذٍ - عملًا بالحكمة القائلة: «الشجرة المثمرة تقذف بالحجارة»، والشاعرة هي «مهجة بنت التياني القرطبية»[2]، فبعدما لازمت المحبة علاقتهما فترت بعد ذلك مما جعل مهجة القرطبية تهجوها، بقولها:

وَلَّادَةُ قَـــــــــــدْ صِرْتِ وَلَّادةً مِـن غِـير بَعْـلٍ، فُـضِحَ الكَاتِـمُ
حَكَـت لنـا مَـرْيَم لَكِنَّـه نخلـة هـذي ذكـرٌ قـائم[3]

عملًا بالبيت الشعري القائل:

إِذْ أَنْـتَ أَكْرَمْـتَ الكَـرِيم مَلَكْتَـه وَإِذ أَنـت أَكْرَمْـتَ اللئـيم تَمَـردَا[4]

وعنها يقول ابن بسام في ذخيرته: «إنها بنت محمد بن عبد الرحمٰن الناصري، وكانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها، حضور شاهد وحرارة أوابد، وحسن منظر

(1) ابن زيدون، ديوانه، شرح: يوسف فرحات، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994، ص320.
(2) عمل والدها في بيع التين ومنها جاء لقب (التياني) جاء ذكرها في النفح بأنها: «صاحبة ولادة رحمهما الله تعالىٰ، وكانت من أجل زمانها، وعلقت بها ولادة، ولازمت تأديبها» ينظر: النفح، 293/4.
(3) الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، المجلد الرابع، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968، ص294.
(4) الواحدي، شرح ديوان المتنبي، طبع في برلين، 1891، ص266

ومخبر وحلاوة مورد ومصدر»[1].

وكما هو معروف أنه كان لولادة مجلس أدبي يحضره الشعراء والأدباء: «وكان مجلسها بقرطبة منتدى أحرار المصر، وفناؤها ملعبًا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك أفراد الشعر والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم أنساب»[2]، وفي مجلسها هذا ظهور مبكر لفكرة الصالونات الأدبية النسائية والتي ظهرت في العصر الحديث على يد بعض المهتمات بالأدب والشعر أمثال الأميرة نازلي فاضل حفيدة محمد علي باشا، والأديبة الفلسطينية مي زيادة.

وقد كانت ترتدي في أثناء لقاءاتها الأدبية تلك ثوبًا نقش عليه شعرٌ بلغ غاية الجُرأة؛ فكتبت على جانب منه:

أنـــا والله أصـــلُحُ للمَعـــالي أمـــشي مِـــشْيَتي وأتيـــه تِيهـــا[3]

كما كتبت على الجانب الآخر:

أُمَكِّـنُ عاشـقِي مـن صِـحنِ خَـدِّي وأعطِـي قُبلَـتي مـن يـشْتَهِيها[4]

ومما ساعد على شهرة مجلسها بجانب نسبها وجمالها عاملان آخران لم يقلا أهمية عن الأوليين هما: (حذقتها الفنية) و(قوة حجتها) التي تجلت في أثناء إجراء نقاشاتها مع كبار الشعراء والأدباء الأندلسيين في عصرها، مما زاد من حماس معاصريها في أن يستمعوا إليها مستمتعين ومفادين من رجاحتها في آن، ولعل تلك العوامل مجتمعة السبب في عدم زواجها.

---

(1) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، لبنان، 1997، ص429.

(2) المصدر نفسه.

(3) المقري، النفح، 205/4.

(4) المصدر نفسه.

INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
اتحاد الجامعات العربية

ثم إنها لم تتمتع بتلك الصفات السالفة الذكر فقط، بل تمتعت بصفة أرىٰ أنها من صنع المجتمع الأندلسي وقتئذٍ، ألا وهي (سعة الثقافة)؛ وهذا ما بيَّنه أشعارها عندما ذكرت (كوكب المشتري) في قولها معاتبة (ابن زيدون):

لَوْ كُنْتَ تُنْصِفُ في الهَوَىٰ ما بَيْنَنا ... لَم تَهْوَ جَاريَتي ولو تَتَخَيَّرِ

وَتَرَكْتَ غُصْنًا مُثْمِرًا بِجَمَالِهِ ... وَجَنَحْتَ لِلْغُصْنِ الذي لَم يُثْمِرِ

[وَلَقَدْ عَلِمْت بِأَنَّني بَدْرُ السَّمَا ... لَكِن دهيت لِشِقْوَتِي بِالمُشْتَرِي][1]

كما يتجلىٰ الأثر المشرقي في بيت شعري قالته للوزير (أبي عامر) ذكرت فيه (مصر) و(نيلها) مسقطةً معرفتها بالمشرق ومعالمه، فكأن أبا عامر في كرمه وإغداقه نهر النيل الذي يعد شريان الحياة بمصر.

أَنْت الخَصِيبُ وهذي مصرُ ... فتدفقا فكلاكما بحر[2]

- **العبادية جارية المعتضد (عباد)**:

سميت العبادية نسبة لعباد بن إسماعيل الملقب بـ«المعتضد» ملك إشبيلية، كانت متقدة القريحة الشعرية حادة الذكاء للحد الذي جعل المعتضد يهيم بها ويؤثرها، ومما قيل فيهما أن المعتضد في ليلة بات سهران، فذهب إليها ووجدها نائمة؛ فقال فيها ذلك البيت:

تَنَامُ ومُدْنِفُهَا يَسْهَرُ ... وتَصْبرُ عَنْه ولا يَصْبِرُ[3]

فانتبهت من نومها وأجابته بسرعة بديهة مرتجلة:

---

(1) ابن بسام الشنتريني، ص431-432.

(2) المصدر نفسه، ص431.

(3) زينب فواز، المرجع السابق، ص327.

لَـــــئِنْ دَامَ هَـــــذَا وهَـــــذَا له سَـــيَهْلِكُ وَجْـــدًا وَلَا يَـــشْعُرُ[1]

- **اعتماد الرميكية**:

ولا نغفل (اعتماد الرميكية) التي منحها حذقها الشعري فرصة صيرتها ملكة، وهذا عندما طلب المعتمد بن عباد من صديقه ابن عمار أن يكمل بيتًا شعريًّا، لكن قريحة ابن عمار خانته، وإذ بصوت يصعد من جانب نهر الوادي الكبير يجز البيت (أي درع لقتال لو جمد)، مما كان سببًا في اتخاذ المعتمد لها زوجة له[2]، ومن ثم تحولت لملكة لها الأمر والحل والعقد.

وقد صار شعرهما مرآةً لتلك الثنائية الفريدة، فأشعار اعتماد التي وصلت إلينا ما هي إلا تتمة لأشعار المعتمد أو حوار أجرياه معًا وثقه المعتمد فيما بعد؛ مثل قولها في أثناء مرضه:

** مَالَنا قُدْرَةَ عَلَى مَرْضَاتِكَ فِي مَرْضَاتِكَ **[3]

كما خاطبته وهما في المنفى على حد قول المعتمد بن عباد على لسانها:

قالـــــت: لقـــــد هنـــــا هنـــــا مَـــــوْلاي أَيْـــــن جَاهُنـــــا[4]

مما جعل المعتمد يجيبها قائلًا:

قُلْـــــتُ لهَـــــا: إلى هُنَـــــا صَـــــــــيَّرَنا إلَهُنـــــــــا[5]

---

(1) زينب فواز، المرجع السابق، ص327.

(2) نفح الطيب، المقري، 211/4.

(3) المصدر نفسه، 212/4.

(4) المعتمد بن عباد، ديوانه، جمعه وحققه: حامد عبد المجيد، أحمد أحمد بدوي، مراجعة: طه حسين، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000، ص114.

(5) المصدر نفسه.

- **بثينة بنت المعتمد:**

أبدعت الأميرة الشاعرة (بثينة بنت المعتمد) في القصة الشعرية من خلال رسالتها الشعرية لأبيها في موضع أسره، بعدما سبيت وبيعت كجارية، ومن حسن حظها أن بيعت لرجل اتقىٰ الله فيها، بتصديقه لها بأنها ابنة المعتمد، وموافقته إياها بأحقيتها في استئذان والدها في زواجها؛ فأرسلت تلك الرسالة الشعرية:

اِسْـــمَع كَلامِي واسْـــتَمِع لِمَقـــالَتِي ... فَـهِي الـسُّلوكُ بَـدَتْ مِـنَ الأَجْيَـادِ
لا تَنْكُـــرُوا أَنِّي سُـــبِيت وَأَنَّـــنِي ... بِنْـــتٌ لِمَلِـــكٍ مِـــنْ بَـــنِي عَبَّـــادِ
مَلِـكٌ عَظِـيمٌ قَـدْ تَـوَلَّىٰ عَـصْره ... وكَـذَا الزَّمـانُ يَـؤول لِلإفْـسَادِ
لَمَّـــا أَرَادَ الله فُرْقَـــةَ شَـــمْلِنَا ... وأَذَاقَنـــا طعْـــم الأَسىٰ عَـــن زَادِ
قَـــامَ التّفـــاقُ عَلَىٰ أَبِي فِي مُلْكـــهِ ... فَـدَنا الفِـرَاقُ ولَـمْ يَكُـن بِمـرَادِ
فَخَرجـتُ هاربـةً فحـازني اِمـرؤٌ ... لـــم يـــأتِ في إعجـــاله بـــسدادِ
إذ بـــاعَني بيـــعَ العبيـــدِ فـــضمّني ... مَـــن صـــانَني إلّا مـــن الأنكـــادِ
وَأَرادني لنـــكاح نَجْـــلٍ طَـــاهَر ... حَـسَنُ الخَلائـقِ مِـنْ بَـني الأنجـادِ
وَمَضىٰ إليك يَـسَّومُ رَأْيَـك فِي الـرِّضىٰ ... وَلأنـت تَنظـرُ في طريـقِ رشـادي
فَعَـساك يـا أبـتي تعـرّفني بـهِ ... إن كان ممّـــن يُـــرتجىٰ لـــودادِ
وَعَـسىٰ رُمَيْكِيـة الملـوكِ بفـضلها ... تَـدْعو لَنـا بـاليُمنِ والإسـعادِ[1]

فردَّ أبوها عليها شعرًا:

بُنَيَّـــتِي كُـــونِي بِـــه بَـــرَّة ... فَقَـدْ قَـضَىٰ الدَّهْـرُ بإسْـعافه[2]

(1) المقري، 284/4.
(2) المعتمد بن عباد، ص108.

ولقد سبقت بثينة أقرانها وقريناتها من الشعراء والشاعرات، فتلك القصيدة أو الرسالة الشعرية - كما أراها - تنقلنا إلى فضاء (القصة الشعرية) فكأنها نواة للقصة الشعرية التي تطورت في الشعر الحديث، لاحتوائها بعض العناصر القصصية من سرد للأحداث، ووصف للشخصيات، وهذا أيضًا سبق شعري أندلسي لم يُلتفت إليه.

الخاتمة:

تناول البحث ظاهرة الشعر النِّسْوي في الأندلس، فألقى الضوء على شاعرات البلاط، ذاك المصطلح الذي يبدو غريبا للوهلة الأولى، فمن المتعارف عليه في مجال الشعر والأدب وجود طائفة من الشعراء عرفوا بشعراء البلاط، ومن هنا فرق البحث بين شعراء وشاعرات البلاط، فإن كان الأول يحمل دلالة التودد والتقرب من أجل التكسب المادي أو الرفعة السياسية - إلا ما ندر - ؛ فإن الثاني يحمل دلالة القربى سواء بقرابة الدم مثلما كانت كل من (أم الكرم بنت المعتصم ابن صمادح، وولادة بنت المستكفي، وبثينة بنت المعتمد)، أو بقرابة الزواج كما هي الحال عند (اعتماد الروميكية)، أو بالصلة الروحية كما نجد (حفصة الركونية)، وعلى عكس المتوقع في مثل حالهن، والذي من المفترض أن تلتزم فيه السيدة البالغة مكانتهن بآداب البلاط، للحفاظ على المكانة السياسية، فما يحل لغيرهن لا يحل لهن، حتى إذا سمحت ظروف المجتمع، إلا إن المجتمع الأندلسي أثبت عكس ذلك من خلال الحرية التي أعطاها إلى نسائه، والتي فاقت في بعض الأحيان مكانة الرجل، وقد كان بيت المُلك صورة تمثيلية من ذاك المجتمع التحرري، مما أخرج شاعرات تمتعن بالحذاقة والبلاغة، بجانب جُرأة صارخة بدت في أشعارهن.

❋

INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

المصادر والمراجع

المصادر:

- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الأول، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968.
- ابن زيدون، ديوانه، شرح يوسف فرحات، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994.
- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، (د.ت).
- جميل بن معمر، ديوانه، دار صادر،(د.ط)، لبنان، (د.ت).
- الخنساء، الديوان، تحقيق: حمدو طماس، ط2، دار المعرفة، بيروت 2004.
- الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، 1968.
- عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، شرح: محمد عبد المنعم خفاجي، وعبد العزيز شرف، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة 1995.
- لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، المجلد الأول، ط2، الخانجي، القاهرة، 1973.
- المعتمد بن عباد، ديوانه، جمع وتحقيق: حامد عبد المجيد، أحمد أحمد البدوي، مراجعة: طه حسين، ط3، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000.
- الواحدي، شرح ديوان المتنبي، طبع في برلين، 1891.

المراجع:

- بشير يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، المكتبة الأهلية، بيروت، 1934.
- جاسم ياسين الدرويش، أعلام نساء الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
- زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، ج1، ط1، المطابع الأميرية، القاهرة، 1985.
- محمد بشير العامري، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي، دار الغيداء، الأردن، 2012.

الدوريات والمجلات:

- سعاد أمين محمد، شعر المرأة الأندلسية، رابطة الأدب الحديث، المجلد 87، أغسطس 2014.
- عصام داوود الشويلي، وسار رمزي حسن، دور المرأة الغرناطية في الحياة الثقافية، كلية التربية، جامعة البصرة، 2016.

الأُطروحات العلمية:

- سوسن رسمي عقلة بن ياسين، الرجل في شعر شاعرات الأندلس، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 2012.
- فوزية عبد الله العقيلي، الرؤية الذاتية في شعر المرأة الأندلسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 2000.

المراجع المترجَمة:

- أنخل جونثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، تقديم: سليمان العطار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011.
- هنري بيرس، الشعر في عصر ملوك الطوائف، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، 1988.

● ○ ●

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية